ثنائية الترابط والتعالق في الأدب الرقمي

Dr. Montaser Nabih Mohamed

مدرس الأدب العربي، كلية دار العلوم،

جامعة المنيا

ملخص البحث:

يسعى هذا البحث إلى الإجابة عن تساؤل وحيد مؤداه: أن الأدب الرقمي إذا كان يعتمد في بناء نصوصه على ثنائية الترابط والتعالق، فهل هذه الثنائية ظهرت بظهوره، أم أنها قديمة قدم النص الأدبي الشفهي أو الورقي بشكل عام؟ .

ومن ثم فهو يعرض لمفهوم الأدب الرقمي وأنواعه، وكذلك تمرده على فكرة الانغلاق التي كانت تدعو لها تيارات الحداثة، وأبرز السمات التي تتصف بها النصوص الرقمية، ودور كل من المبدع والمتلقي تجاه النص الرقمي، ذلك أن ثنائية الترابط والتعالق منحت للمتلقي دوراً جديدا لم يكن يعرفه من قبل أثناء النصوص الورقية، ويتناول البحث الحديث عن أهم التيارات التي نادت بضرورة الإيمان بتحقق هذه الثنائية – ثنائية الترابط والتعالق – بين النصوص، وكيفية الانطلاق منها إلى ما يعرف بالنص التشعبي الرقمي في ظل تعدد وسائل التكنولوجيا، وكذلك نظرة النقد العربي للنص الأدبي من حيث تعالقه وترابطه مع نصوص أخرى متنوعة، وأخيراً الحديث عن تحقق سمتي الترابط والتعالق في كتب الصلات الأندلسية، وإن كانتا تختلفان في طبيعتهما عن النص الرقمي.

وقد اعتمدت في هذا البحث على **المنهج التاريخي** لتتبع تطور النص الأدبي، وكذلك **المنهج الفني** الذي يساعد في دراسة سمات النص الفنية ومن ثم العرف على طرق وأوجه الترابط والتعالق فيه.

كلمات افتتاحية: الترابط / التعالق/ النص المترابط / الأدب الإلكتروني/ الأدب الرقمي/ الأدب التفاعلي/ كتب الصلات.

Summary

This research seeks to answer a single question: that if digital literature relies on building its texts on the duality of interconnectedness and correlation, then did this duality appear with its appearance, or is it as old as the oral or paper literary text in general?

And then it presents the concept of digital literature and its types, as well as its rebellion against the idea of closure that was called for by the currents of modernity, and the most prominent features that characterize digital texts, and the role of both the creator and the recipient towards the digital text, because the duality of interconnectedness and interrelation gave the recipient a new role that he did not know Before during the paper texts, and the research deals with the talk about the most important currents that called for the need to believe in the realization of this duality – the duality of interconnectedness and interdependence – between texts, and how to proceed from it to what is known as the digital hypertext in light of the multiplicity of technology, as well as the view of Arab criticism of the literary text in terms of Its relationship and correlation with various other texts, and finally to talk about the attainment of the two features

of interconnectedness and correlation in the books of Andalusian connections, even if they differ in their nature from the digital text.

Key words: interconnectedness / interconnectedness / coherent text / electronic literature / digital literature / interactive literature / links books.

أولًا: الأدب الرقمي: المفهوم والأنواع:

ظهر الأدب الرقمي بظهور بعض الاتجاهات التي حاولت التمرد على أفكار الحداثة، وهي التي كانت تؤمن بهيمنة المؤلف وسيادته، ومن ثم فهو المتحكم الوحيد في تحديد هوية النص عبر ما يبثه فيه من أفكار خاصة، بينما نادت هذه الاتجاهات – كالسريالية والدادائية وغيرها – بأن النص لا يمكن أن يقف عند حدود مؤلفه، بل إنه منفتح على نصوص أخرى متنوعة ومتعددة، ولذلك فإن للمتلقي دوراً كبيراً في تشكيل المنتج النهائي للنص، كما أن رفض هذه الاتجاهات الوقوف عند القواعد العامة الثابتة، والنموذج المثال قد صاحب تطور وسائل الاتصال المتعددة لاسيما بعد الحرب العالمية الثانية حيث كان هذا التطور والتعدد تعبيراً عن حالات الشتات والانقسام التي اتسمت بها هذه الفترة، لا في مجال الأدب فقط وإنما في كل مناحي الحياة.

ومع هذا التطور التكنولوجي السريع وتعدد وسائل الاتصال كان الأدب أحد المستفيدين من هذه الثورة التكنولوجية الهائلة، فاستطاع أن يتمرد على الوسيط الذي يقدم من خلاله، وأن يغير في شكله، وأسلوبه، وطرائق تقديمه، مع الاحتفاظ بهويته الأدبية؛ فتحول من الورقية إلى الرقمية، ولم تمثل الرقمية – فيما بعد – مجرد وسيط فقط بل أصبحت بالنسبة له وسيطًا وفضاءً، وجزءًا لا يتجزأ من تكوينه. وأصبحنا نسمع عن الأدب الإلكتروني، والأدب الرقمي، والأدب التفاعلي، وظهرت نماذج إبداعية عربية متعددة تمثل هذا النوع من الأدب، ودراسات نقدية مختلفة تحاول تحديد مفاهيمه

وثوابته، ومن ثم توضيح إشكاليته الأجناسية التي لم تقف عندها النظرية الأدبية بعد بشكل واضح. ذلك أن الأدب الرقمي أولى عناية خاصة بمكانة المتلقي في تحديد طبيعة النص، ومشاركته في تأليفه، بل قل إن صح التعبير في إعادة إنتاجه – عبر الاختيار والإضافة والتعديل في جسد النص – ليصبح المتلقي مؤلفًا موازيًا لمؤلف النص الأصلي.

والأدب الرقمي هو: ذلك الأدب الذي يقدم عن طريق الحاسوب بكافة أشكاله، ويشترك في تأليفه كل من المبدع والمتلقي في آن واحد، حيث يقوم الأول بتأليف الشكل الأولي للنص، ويقوم الثاني بوضع تعديلات وتعليقات واختيارات متعددة من أجل الوصول إلى ما يراه مناسباً من وجهة نظره الشخصية، وتكون الوسائط المتعددة من صوت وصورة وحركة وموسيقى وفديو جزءًا أصيلًا من جسد هذا النص، فهو" كل نص ينشر نشرًا إلكترونيًا، سواء كان على شبكة الإنترنت، أو أقراص مدمجة، أو في الكتاب الإلكتروني، وغيره متشكلاً على نظرية الاتصال في تحليله، وعلى فكرة التشعب في بنياته" [i].

وتنحصر كافة أشكال الأدب الرقمي التي ظهرت نتيجة ارتباط الأدب بالتكنولوجيا في ثلاثة أشكال وهي: **الأدب الإلكتروني**، ويعبر عنه النص الإلكتروني، وهو: النص الذي ينقل من الورق إلى شاشة الحاسوب عن طريق الماسح الضوئي، ولا تتدخل الوسائط الرقمية في تأليفه، بل هو صورة إلكترونية فقط للنص الورقي، ولذلك يمكن طباعته على الورق، ويمثل هذا النوع أقدم الأنواع التي ظهرت في ارتباط الأدب بالحاسوب، وهذا النوع من النصوص لا يمكن التدخل فيه بالتعديل أو الإضافة أو التعليق ولذلك يطلق عليه النقاد (النص السلبي) لأن درجة تفاعل المتلقي معه تكون ضعيفة جدًا، وتمثل الرقمية فيه مجرد وسيط فقط لكنها لا تدخل في تكوينه أو تأليفه ،"فهو ذلك النص الذي يصممه الخبراء بتقديم مادة مضمونية محددة، مثل

الموسوعات، وتاريخ الفن، ودليل ضريبة الدخل، وما أشبه ذلك، ومن الواضح أن مثل هذا النص يكون مغلقاً في وجه أية تعديلات على يد المستعملين (القراء)، ولكن بالطبع تبقى للمستعملين حرية التجول بين شبكة الكتل والوصلات على النحو الذي يرضي أهدافهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يغيروا أياً من الجسم الأصلي للنصوص أو طريقة تشكيلها" (ii). فهو يشبه – بدرجة كبيرة – النص الورقي لكنه يختلف عنه فقط في الوسيط الذي يقدم من خلاله.

أما الشكل الثاني فهو **الأدب الرقمي**، ويعبر عنه النص الرقمي، وهو: النص الذي تم تحويله من الصورة الخطية الورقية إلى صورة مبرمجة على الحاسوب، كما تدخل الوسائط المتعددة في تأليفه بشكل كبير فيكون مزيجاً من المقاطع الكتابية والصوتية، وكذلك الصورة والفديو، ولذا فإن هذا النوع من النصوص لا يمكن طباعته على الورق وإنما يعرض فقط على شاشة الحاسوب عبر الصيغة المشفرة (0،1) لذلك تمثل الرقمية فيه وسيطاً وفضاء على عكس النص الإلكتروني الذي لا تمثل فيه الرقمية إلا وسيطاً فقط، وقد ميز الدكتور سعيد يقطين بين هذا النوع من النصوص وبين النص الإلكتروني حيث أطلق على الأول النص الرقمي، بينما أطلق على الثاني النص المرقم " وتختلف الكتابة الرقمية عن نظيرتها المرقمة في كونها أعدت خصيصاً لتُتلقى من على الشاشة، مستغلة في ذلك مختلف التقنيات البرمجية المستعملة بكيفية خاصة لإنتاج النص الرقمي وتلقيه" (iii).

والشكل الثالث من أشكال هذا الأدب هو **الأدب التفاعلي**، ويمثله النص المترابط أو التشعبي الذي يعرف بنص ال(Hypertext)، وهو عبارة عن نص رقمي تتدخل الوسائط الإلكترونية المتعددة في تكوينه وتأليفه، وتمثل الرقمية له وسيطاً وفضاءً، ولكنه يتسم كذلك بالروابط المتعددة التي تميزه عن غيره من النصوص، فهو " جماع نصوص وعلامات من مصادر وطبائع متعددة، وكل نص هو بمثابة وحدة مستقلة

عن غيرها، وليست متفرعة أو متشعبة عن أصل معين، كل وحدة تسمى (عقدة) (بغض النظر عن طبيعتها أو جنسها أو علاقتها بغيرها من الوحدات الأخرى)، عندما نربط بين هذه العقد بواسطة (روابط) تيسر علينا الانتقال بين هذه العقد فنحن أمام (نص مترابط)؛ لأن ما يجمع بين مكوناته ينهض على أساس الترابط النصي" [iv]. وهذه الروابط تتيح للمتلقي الانتقال فيما بينها، وأيضاً التعليق والإضافة، ولذلك يعرف هذا النوع بالأدب التفاعلي لأن المتلقي فيه يستطيع أن يتفاعل مع النص بشكل حقيقي وملموس على عكس الأنواع السابقة التي يكون دور المتلقي فيها تجاه النص سلبياً، ويمكننا أن نتبين ذلك في النماذج الإبداعية التي عبرت عن هذا النوع من الأدب كرواية صقيع، ورواية شات، ورواية ظلال الواحد للكاتب الأردني محمد سناجلة، وكذلك قصيدة تباريح رقمية لسيرة بعضها أزرق للشاعر العراقي مشتاق عباس معن، وهي تعبر عن الشعر الرقمي الذي يعتمد على النص المترابط كما في الشكل التالي، وهو جزء مقتطع من أجزاء القصيدة:

ففي هذه القصيدة التفاعلية يعبر الشاعر عن معاناة الشعب العراقي، وكذلك كل الشعوب العربية، وهو يستخدم في بناء قصيدته (النص المترابط) حيث إن الضغط على العنوان يظهر لك عدة أيقونات، وكل أيقونة تمثل رابطًا يمكن من خلاله الولوج إلى جزء من أجزاء هذه القصيدة بمصاحبة الموسيقى والصور، وكذلك الروابط الأخرى، ومن يقوم بقراءة القصيدة سوف يجد أن الرقمية لم تفقدها هويتها الأدبية، وإنما جاء التغيير فقط على مستوى الشكل بينما حافظ المضمون على هويته، بل إن هذه التقنيات الرقمية قد أضافت أبعاداً ودلالات جديدة لم يكن يعرفها النص الورقي، كتأثير الصور مثلًا أو الموسيقى، أو غيرها من الوسائط الأخرى.

ويعتمد الأدب التفاعلي على الروابط المختلفة التي تشكل نسيجه مستعينة بالوسائط الرقمية المتعددة، وهذه الروابط تلتقي فيما بينها لتمثل الشكل النهائي للنص، وكل رابط منها قد يتشعب إلى روابط أخرى متعددة متعالق معها بصورة ما، ولذلك يعتمد الأدب التفاعلي على ثنائية الترابط والتعالق، لأنه بدونهما يتحول إلى أدب إلكتروني أو مرقم، ولذلك فإن عديداً من النقاد قد ترجم مصطلح (Hypertext) إلى النص المترابط أمثال د. سعيد يقطين، ود. لبيبة خمار، ود. زهور كرام التي تنعته بذلك استناداً على التطور الذي لحق بالنص الأدبي؛ حيث تجد أن فكرة الترابط هي الترجمة الأنسب لهذا المصطلح، "ونحن وإن كنا نفضل استعمال مصطلح النص المترابط انسجاماً مع شكل إدراكنا لمصطلح Hypertext باعتباره نظاماً يسمح بعملية المرور

والتواصل بين المعلومات والنصوص والصور استناداً على تاريخ تطور مفهوم النص الأدبي، فإننا نرى ما ذهب إليه الناقد المغربي محمد أسليم كون أن المنجز الإبداعي الغربي هو الذي أفضى إلى تصنيف التفاعل والرابط إلى أنواع"(v). فوجهة النظر هذه ترى أن فكرة الترابط هي الفكرة الأساس التي يقوم عليها النص الرقمي، ومن ثم وجب نعته بالنص المترابط، كما يطلق عليه د/ حسام الخطيب كذلك النص المتفرع (vi). ذلك أنه يتسم بالتفرع وعدم السطرية.

ومن النقاد من قام بترجمته إلى النص المتشعب ارتباطًا بفكرة التعالق بين النصوص منهم د.عز الدين المناصرة، ود.عبير سلامة، ود.محمد مريني الذي يرى " استعمال هذه الترجمة لسببين: أولهما شيوع هذه الترجمة، فقد تبناها الفريق العربي بمايكروسوفت، يمكن التأكد من ذلك بتثبيت برنامج الأوفيس بواجهة غربية، حيث نجد خيار (إدراج وصلة تشعبية) مقابلاً لـــ (Insert online hypertext)، كما أثير موضوع ترجمة المصطلح من خلال نقاش داخل (منتديات الجمعية الدولية للمترجمين واللغويين العرب)، وقد اختار أغلب المتدخلين في الموضوع مصطلح (النص المتشعب) كمقابل Hypertext، ثم إن المصطلح المذكور هو المصطلح المستعمل في أغلب المواقع العربية، يتمثل ثانيها في تطابق الدلالات اللغوية لمصطلح Hypertext مع ما ورد في المعاجم العربية عن مادة (شعب)، فقد ذكره ابن منظور في معجمه أن الشعب: الجمع والتفريق، والإصلاح والإفساد" **(vii)**. ويرى أن ما يتسم به النص الرقمي من تنوع وعدم الخطية يتساوق مع فكرة التشعب، ولذلك يترجم هذا المصطلح بالنص المتشعب، ويرى د. نبيل علي في كتابه العرب وعصر المعلومات أن الترجمة الأنسب هي النص الفائق ذلك أنه يتيح للمتلقي طرقًا متعددة من المسارات والتداخلات، كما يتيح له التدخل في النص ومن ثم تتبع مسارات متفرعة جديدة متصلة به (viii). ومن خلال هذا يعد النص فائقًا.

وعلى هذا يمكننا تحديد مفهوم الترابط بأنه: عملية انتقال غير منتظمة وغير خطية تجاه النص من خلال عدد غير نهائي من المتلقين تجعل كل واحد منهم ينتج نصًا مختلفًا عن النص الأصلي وفي نفس الوقت مرتبط به بشكل كبير، ويظهر ذلك بصورة كبيرة - كما أشارت د. لبيبة خمار- في الشروح المقدمة على متون الكتب القديمة فهناك المؤلف الأصلي، والشارح، والمحشي الذي يقوم بوضع الحواشي والهوامش، والمعقب الذي يعقب على المتن والشرح، ورغم أن لكلٍ طريقة وإنتاجًا جديدًا إلا أنهم يتقابلون في النهاية عند المضمون الرئيس.

ويمكننا أيضًا تحديد مفهوم التعالق بأنه: وجود تشابه وتداخل بين عدة نصوص وهو مفهوم ارتبط بالتناص لدى كل من جيرار جينت (Gerard Genette) ، وجوليا كريستيفا (gulia kristeva)، وهذا التعالق تنتج عنه فكرة المؤلفين التشاركيين لاسيما في النصوص الرقمية بشكل خاص.

والأدب الرقمي عبر ترابط نصوصه وتشعبها يتيح للمتلقي قدرًا كبيرًا من التفاعل لم يكن يعرفه من قبل خلال تعامله مع النصوص الورقية، فمع قدرته على التعليق والتعديل والإضافة التي يمنحها له مؤلف النص الرقمي عبر المساحات والروابط الفارغة بين الحين والآخر التي يتركها داخل نصه يستطيع المتلقي أن يشارك المؤلف في عملية الإبداع، وأن يكون قادرًا على تحديد هوية النص الأجناسية عبر إضافاته الخاصة، وكذلك ميوله ورغباته.

وعلى المتلقي عند تعامله مع النصوص الرقمية أن يمتلك ثقافة تكنولوجية تمكنه من التعامل مع مثل هذه النصوص، كما أنه حرية التنقل بين الروابط المتعددة تفرض علية أن يكون دقيقًا في اختياراته المختلفة، وأن يراعي في هذه الاختيارات ما يمكن أن تتيحه له الوسائط المتعددة من دلالات متعددة ومختلفة، فعملية التدخل من قبل المتلقي عملية واعية لا يمكن أن تتم بعشوائية أو عدم معرفة "وترى روساريو أنه

ثمة أربع صفات أساسية تميز المتلقي الرقمي بشكل عام، وهي: الاستقلالية: يعد كل متلقي للنص متلقيًا مستقلاً، ولا توجد علاقة بين متلقٍ وآخر مع النص نفسه...، التنقل: إن أبسط أشكال التنقل والحركة هي تعامل المتلقي مع الفأرة وتحريكها بيديه، ولكن هناك نصوصًا تتطلب تحريك جسد المتلقي كله، زاوية الرؤية: الكثير من الأعمال الرقمية لا سيما الشعر الرقمي لا تسمح للمتلقي برؤية النص كاملاً، فيكون عليه أحيانًا أن يشغل الزوم لرؤية النص، أو ينتقل بين الوصلات المتداخلة فيه، تحديد الوضعية: الأعمال الرقمية تتطلب وسائط مختلفة للظهور" [ix]. فالأدب الرقمي بما يحمله من تفاعل وتعدد خيارات قد غير كثيرًا من وظائف كل من المبدع والمتلقي، فلم يعد الأول هو ذلك المبدع الذي يعتمد على خياله وإبداعه الشخصي فقط، فلم تعد الموهبة وحدها تكفي، بل أصبحت تحتاج إلى معرفة ووعي، أما المتلقي فلم تعد الانطباعات التي يصدرها عند قراءته لعمل ما تكفي، ولم تعد تلك الطريقة الخطية في القراءة تجدي نفعًا، بل أصبح منتجًا حقيقيًا، باستطاعته الاختيار والانتقاء والإضافة، أضف إلى ذلك تسلحه بالمعرفة التكنولوجية التي أصبحت فرض عين على كل من المبدع والمتلقي، لأن الأدب التفاعلي لا يمكن أن يقدم بدونها.

ثانيًا: النص الأدبي من الانفتاح إلى التجريب الرقمي:

مع تطور العلوم والمعارف المختلفة تغيرت النظرة إلى النص الأدبي من كونه نصًا منغلقًا على نفسه كما كان يرى أصحاب الاتجاه البنيوي الذين تبنوا هذه الفكرة، ولكن منهم من نادى بأن هناك تعالقًا بين النصوص بعضها البعض، وهذا التعالق من شأنه أن يقلل من مكانة المؤلف ومركزيته التي عرفت من قبل، حتى وصل الأمر لما يعرف بنظرية **موت المؤلف** التي جعلت صلته بالنص تنتهي به بمجرد الانتهاء من تأليفه، حتى يعيد المتلقي إنتاجه من جديد، ويصبح بمثابة مؤلف موازٍ للمؤلف الأصلي، كما أن النصوص تتلاقى وتتعالق فيما بينها فلا يوجد نص من العدم، ولا

يوجد مؤلف لم يتأثر بسابقيه، أو بما حوله، "ويبدو أن مبدأ تعدد الأصوات الذي جاء به ميخائيل باختين (M.Bakhtine) ينطبق على هذه الفكرة تمام الانطباق، ويبدو كذلك أن رغبة ميشيل فوكو(Michel Foucault) في حرية تداول النصوص، وحرية استغلالها وتركيبها وتفكيكها وإعادة تركيبها تتحقق في هذه النصوص، إذ يتراءى النص لميشيل فوكو في كتابه (حفريات المعرفة) عبر مصطلحات الروابط والشبكات؛ حيث يشير إلى أنه لا يمكن الإمساك بحدود كتاب ما، وتخومه لأنه مغمور في نظام من مرجعيات كتب ونصوص وجمل أخرى، فهو أشبه بعقدة داخل شبكة من المرجعيات "(x). وعلى هذا ينفتح النص على عوالم ونصوص أخرى متنوعة.

وهذه الخاصية الجديدة استطاعت أن تغير النظرة إلى النص الأدبي حيث بدأ النقاد ينظرون إليه على أنه جماع عدة نصوص مرتبطة به، ومن ثم فهو يتسم بالترابط والتشعب، ويكون لديه القدرة على جعل المتلقي أكثر تفاعلًا لأنه أصبح ذا حضور يذكر تجاهه، "فللنص طبيعة إنتاجية، وهي تعني ترحال النصوص وتداخلها، فالنص ليس بنية مغلقة، وفي فضاء نص معين تتقاطع وتتلاقى عدة ملفوظات مقتطعة من نصوص أخرى"[(xi)]. وهي نفس الفكرة التي نادى بها كذلك رولان بارت، وطورها جيرار جينيت في حديثه عن المتعاليات النصية، ثم ما لبثت أن اعتمد عليها أصحاب نظرية الأدب الرقمي في انتاج نصوص تحمل هذه السمة بالفعل – سمة الترابط– من خلال الروابط المتعددة التي يمكن أن يتيحها جهاز الحاسوب، والتي تجعل النص أشبه بخريطة متشعبة الاتجاهات والحدود.

ولقد كان هذا التطور نتيجة تطورات متعددة في الفكر والفن والأدب في أوروبا لاسيما بعد الحرب العالمية الثانية، وظهور بعض الحركات المناهضة لثبات الفن وإخضاعه لقواعد ونظريات مقننة، ومن أبرز هذه الحركات: الحركة التكعيبية والحركة المستقبلية، والحركة الدادائية، فالأولى ظهرت بداية في الرسم ثم انتقلت إلى

الشعر، وكانت تهتم بالتشكيل البصري للجمل والكلمات، بينما اعتمدت الحركة المستقبلية الفوضى في الأدب، واهتموا – بشكل كبير– بالحركة وعدم الثبات، "وبخلاف الحركة التكعيبية التي حللت الشيء إلى عناصره الهندسية الأولى، واكتنفها الهدوء، فإن المستقبليين أكدوا الشعور بالفوضى والضجيج اللذين واكبا المكننة في ذلك العصر؛ لهذا ركز المستقبليون على عنصر الحركة، فرسموا الإنسان والمرئيات في حالة حركة" (xii). وانعكس ذلك على شكل القصيدة وبنائها، فلم تعد تلتزم البناء التقليدي القديم، وأصبحت تكتب بأشكال مغايرة مجزأة، أو عبارة عن عدة دوائر أو مربعات، واستطاعت أن تتمرد على الأنساق الكلاسيكية التي كانت سائدة في أوروبا في عصور النهضة وما قبلها؛ لتواكب التصورات العديدة التي جاءت بها بدايات القرن العشرين.

أما الحركة الدادائية فهي تمثل تطورًا كبيرًا في الفن بشكل عام، والأدب بشكل خاص، لا سيما القصيدة الشعرية التي تحولت بفضل هذه الحركة إلى لوحة فنية تجمع بين الكلمات والصور والأرقام والمعاني المتفرقة، وهي نوع جديد من الفن والأدب ظهر لرفض فكرة الجمال في الأدب، وتبني فكرة العبثية، ولذلك كانت القصيدة من هذا المنطلق هي مجتمع عدة وسائط مختلفة، "استعمل فنانو الدادا تقنيات الفن المفاهيمي والرمزي واستعمال الأشياء الجاهزة ، وإكسابها معاني جديدة بواسطة طرائق توظيفها كذلك يظهر في أعمال الدادائيين فن الكولاج الذي يضم وسائط متعددة؛ مثل الصورة الفوتوغرافية، لصق الكلمات، الأرقام، أي ضم مواضيع متشعبة في العمل الفني نفسه، وهو ما يشكل لبنات الفكر الرقمي" (xiii).

عملت الأفكار المتنوعة التي طرحتها تلك الحركات الجديدة إلى تشكيل نواة أولية لفكرة التشعب والترابط في الأدب الرقمي في أوروبا؛ لأن الدادائيين حاولوا بعد ذلك في فترة الستينيات من القرن العشرين استخدام التكنولوجيا والوسائط الرقمية في الفن

بشكل عام، والأدب بشكل خاص حتى ظهر ما يعرف بالقصيدة الرقمية، "خلال هذه الفترة – فترة السيتينيات- ظهرت بواكير الأدب الرقمي في ألمانيا على يد الشاعر ثيولوتز(Thiolutz) الذي استخدم الحاسبة لكتابة الشعر، فكان من أوائل المفكرين الذين نادوا بالاستفادة من العلوم الطبيعية لصالح الفنون الجميلة، والفكرة نفسها نادت بها كل من المدرستين: مدرسة الـــ Oulipo(أوليبو)، ومدرسة Alamo(آلامو) في فرنسا، وهؤلاء جميعاً عملوا على تطوير الشعر الرقمي الذي يعتمد الحاسوب والتقنية بشكل أساسي "(xiv). وانتشر هذا النوع من الشعر بعد ذلك في أماكن متعددة من العالم، وقد عرف هذا الشعر بالشعر البصري؛ لأنه يعتمد على التشكيل البصري الذي تقدمه الوسائط المتعددة.

وقد ظهر نوع آخر من الشعر قبل هذه الفترة عبر عن فكرة الترابط أو التشعب، وهو الأدب الجمعي، وهو عبارة عن نص أدبي يشترك في تأليفه أكثر من أديب، وظهرت علي يد بعض الشعراء الفرنسيين " وظهر هذا النوع بشكل قوى وملحوظ على يد الشاعر الأمريكي تشارلز فورد (Charles Ford) حيث دعا الشعراء من أماكن متفرقة من العالم عام 1940م إلى المشاركة في قصيدة واحدة تشاركية عرفت بالسلسلة يقوم كل شاعر فيها بتأليف بيت واحد فقط " (xv).

إذاً لا يمكن أن نعتبر هذا الأدب – الأدب الرقمي – وليد الصدفة أو الاختراع، وإنما كانت له بدايات متعددة من حيث هو أدب مترابط ومتشعب، ظهر بداية في الأدب الورقي مع رفض بعض الحركات التجديدية في الفن والأدب تلك الطرائق التقليدية التي يقدم بها الأدب، فانتقل بعد ذلك إلى الرقمية مع تطور العلوم والتكنولوجيا. ومحاولة الاعتماد على هذه الإمكانات التي يقدمها الحاسوب، وذلك كما فعل فاينفار بوش(Vannevar Bush) عام 1945م في الولايات المتحدة الأمريكية، الذي فكر في تنظيم المعلومات والمعارف واستحضارها في أي وقت بطريقة يسيرة

بعد تخزينها عن طريق الحاسوب، معتمدا على فكرة الترابط والتشعب "ولدت فكرة النص التشعبي في ذهن فانيفار بوش خلال الحرب العالمية الثانية، فقد رأى أنه يتعين على هذه الأداة أن تساعد الباحثين على تنظيم المعلومات واسترجاعها، كما رأى أن أدوات التخزين والأرشفة في وقته كانت قد صارت غير كافية مقارنة مع ما ينشر ويبلغ كل يوم" (xvi)، ثم جاء بعده تيد نيلسون(Ted Nelson)، واستفاد من أفكار بوش، واستطاع أن يطورها ليقرر لنا مصطلحاً جديداً يعرض لأول مرة باسم Hyper (النص المترابط) وذلك عام 1965م.

كما تأتي إسهامات جورج ب. لاندو أستاذ اللغة الإنجليزية والثقافة الرقمية بجامعة سنغافورة الوطنية في طليعة ما كتب عن الأدب التشعبي، وربطه هذا الأدب بالنظرية الأدبية؛ حيث يرى أن النص الرقمي يتسم باللامركزية، وهي سمة جديدة لم يعرفها النص القديم الورقي – إلا على يد دريدا ورولان بارت في حديثهما عن فكرة موت المؤلف وانفتاح النصوص؛ "يعد لاندو من الأوائل الذين اقترحوا تعريفاً لمفهوم النص التشعبي، وتتبع أصوله، ولكن أهم ما يميز أعماله هو تفكيره في الصلات التي تجمع بين النص التشعبي والنظرية الأدبية، فهو يضع هذا التأمل في امتدادات أعمال دريدا وفوكو ودولوز وباختين وغواطاري، ساعياً لإظهار الطريقة التي يؤدى بها النص التشعبي إلى (إعادة تشكيل) النص وأدوار الكاتب والقارئ، وعملية الكتابة " (xvii). ويرى لاندو أنه إذا كان تيودور نيلسون هو من اقترح تسمية هذا الأدب بالأدب التشعبي، فإن فانيفار بوش هو الذي أسس في البداية لهذا المفهوم، وقد نشر لاندو عدة مقالات من عام 1991م إلى عام 1993م هي التي كونت رؤيته حول النص المترابط.

ويرى الدكتور/ سعيد يقطين أن هذه المحاولات الرائدة في الأدب الرقمي مرت خلال حقبتين: الحقبة الأولى هي المحاولات الرائدة، وتعبر هذه المرحلة عن

النصوص الأدبية التي اعتمدت التجريب على يد جماعة Oulipo، وكل التجارب الأدبية التي حاولت الخروج على النظام التقليدي للأدب، ويظهر هذا الاتجاه بداية من تاريخ 1959م، أما الاتجاه الثاني فيؤرخ له بداية من تجربة المولد الآلي للنصوص التي قام بها جان بيير بالب في فرنسا، وبعدها فكرة النصوص الدينامية عام 1985م على يد جماعة Laire التي ظهرت لها مجلة رقمية تحمل هذا الاسم، وفي التوقيت نفسه تجربة (المسرد) لمايكل جوس(Maykil Jwis) في أمريكا في قصته (شمس الظهيرة)، والتي تعد أول تجربة رقمية تقوم بإعداد نص رقمي مبني على فكرة النص المترابط (xviii). وبعد هذه التجارب توالت النماذج التي تستخدم الوسائط التكنولوجية في إنتاج النص الأدبي المترابط.

ثالثًا: النقد العربي وفكرة تعالق النصوص:

فطن الناقد العربي منذ القدم بذائقته الأدبية إلى ما تتسم به النصوص الأدبية من تعالق وتشعب فيما بينها، وقد عبر عن ذلك خلال حديثه عن الفصاحة والبلاغة وعلوم القرآن، أو خلال تأملات نقدية، أو انطباعات أدبية ملحوظة، وذلك

كما طرح كل من عبد القاهر والعسكري وغيرهما عديداً من الأفكار التي تتساوق مع فكرة ترابط النصوص وانفتاحها، فنجد أبا هلال العسكري يقول في كتابه الصناعتين: "ليس لأحد من أصناف القائلين غنى عن تناول المعاني ممن تقدمهم والصب على قوالب من سبقهم" (xix). فقد تحدثوا قديماً عن عدم وجود نص من العدم، بل لا بد لكل مبدع أن يأخذ من سابقيه ويتأثر بهم، وكانوا يعدون ذلك من جودة الشعر، حتى إننا نجد إشارات القدماء العرب حول هذا الموضوع في معرض حديثهم عن التضمين والاستشهاد والاقتباس والتلميح، كما تناولوا موضوع السرقات الشعرية، واهتموا بدراسته، وكانوا يؤمنون بوجود هذه السرقات، ونادوا كذلك بضرورة اعتماد الشاعر على إبداع الشعراء السابقين عليه، وظهور ذلك في شعره؛ "أما النقاد فقد تناولوا

موضوع الترابط بين النصوص من خلال مدخلين: يتمثل المدخل الأول فيما يسمى (السرقات الشعرية)، وهو موضوع شكل محور اهتمام النقاد في القرنين الثالث والرابع ... ويتمثل المدخل الثاني في تأكيد أهمية الذاكرة والحفظ في صناعة الشعر" (xx).

وتتناول د. لبيبة خمار في كتابها "النص المترابط" فكرة الترابط في النصوص العربية القديمة لاسيما ما ورد منها في شروح القرآن الكريم، أو متون الكتب النقدية والنحوية وغيرها، وهذه الشروح المتعددة تحقق فكرة النص المترابط أو المتشعب؛ حيث يحدث بينها جميعاً تفاعل تجاه المتن مع الحفاظ على مركزية المؤلف الأصلي للنص، وهذه العملية ما هي إلا "ارتباط نص سابق بنص لاحق بعلاقات قد تكون هي التفسير، والتضاد أو التجاوز، والتوثيق، أو التوسيع والتشعب، وهي تقنية كانت سائدة في التقليد الورقي وفي ثقافتنا العربية على وجه الخصوص؛ حيث تظهر في المصنفات على شكل شروحات وحواشٍ تتقدم كهيكل منظم يتبادل التأثير، فالشرح نص لاحق يرتبط بالمتن بعلاقات التفسير متقدماً ككتابة من الدرجة الثانية، أما الحواشي فتتعلق بالشرح موضحة ما غمض فيه .. ويتحقق الترابط أيضاً من خلال آلية التعقيب التي تقدم تعليقات واستدراكات على المتن لتعارضه أو لتثبت ما تضمنه بين طياته، أو تستدرك عليه، أو من خلال تقنية الطيارات وهي ملاحظات على المتن كانت تكتب على قصاصات ورقية، وتوضع وسط أوراق المخطوطة منفصلة عنها" (xxi)، ومن خلال تشعب هذه النصوص ومشاركة أكثر من مؤلف في النص يتحقق الترابط لا سيما إذا كان دور المؤلفين التاليين على المؤلف الأصلي يتسم بالتفاعل من خلال الإضافة، أو التوضيح، أو الشرح، أو التعليق ... إلخ.

كما نجد أن **القرآن الكريم** يتسم أيضاً بتحقيق التشعب والترابط، وتنقسم روابطه إلى خفية وأخرى ظاهرة، "فالخفية قد تكون من قبيل ربط السبب بالمسبب، أو التكامل،

أو التفريع، أو إرجاع المخاطب إلى شخص أو حدث سبق ذكره صراحةً أو ضمناً، وقد تكون دلالية تربط بين عنصرين من عناصر الخطاب يتوقف أحدهما على الآخر ... أما الروابط الخارجية فتربط السور بما قبلها، وتمهد لما بعدها" [(xxii)].

وقد تناول المفسرون والعلماء فكرة تناسق وترابط كلمات وآيات، وكذلك سور القرآن الكريم، وقامت عديد من المؤلفات والدراسات والكتب في ذلك[(xxiii)]. وقد سمي ذلك لديهم بعلم المناسبة، وهو: "علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المقال لمقتضى الحال" [(xxiv)]. وقد ذكر الدكتور/ فاضل السامرائي أنواع التناسب في القرآن الكريم، فقد يكون التناسب من حيث ترتيب السور بين بعضها البعض، وقد يكون في الآيات وترتيبها، وسبب وضع آية قبل آية، أو بعدها، وقد يكون بين المفتتح والخاتمة في السور، وقد يقع بين خاتمة سورة معينة ومفتتح السورة التي بعدها [(xxv)].

وتحدث الإمام الزركشي في كتابه البرهان عن أهمية هذا العلم الذي يبحث في الروابط المتنوعة داخل القرآن الكريم؛ حيث يقول: "وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض، فيقوي ذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء، وقد قل اعتناء المفسرين بهذا النوع لدقته، وممن أكثر منه الإمام فخر الدين الرازي، وقال في تفسيره أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط، وقال بعض الأئمة: من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض"[(xxvi)]. ومن خلال الكم الكبير في التصانيف والتفاسير التي تناولت المناسبات المتعددة داخله نلحظ ذلك الترابط الذي يقترب بصورة كبيرة مع خاصية الترابط التي يعرفها النص التفاعلي.

وهذا الترابط لم يكن في القرآن والمصنفات فقط، فقد ظهر كذلك في أشعار العرب ضمن ما يعرف بالمفككات والمخلعات وغيرها.

وعلى هذا تكون فكرة الترابط والتشعب بين النصوص ارتبطت بدايةً بالنصوص الورقية قبل انتقالها للنصوص الرقمية التي أصبحت من أبرز دعائمها ومرتكزاتها، لكنها في النص الورقي هي سمة من سماته المتعددة، ويمكن أن ننتقل من فكرة الترابط إلى فكرة التشعب والتفاعل تحديداً إذا أمعنا النظر في القصص العربية القديمة، ومن أبرزها قصص ألف ليلة وليلة، وهي مجموعة من القصص تدور أحداثها حول شخصيات وبلاد وأماكن عربية متنوعة، وتتشعب قصصها فيما بينها، فإذا ما التقينا بحكاية فوجئنا بحكاية أخرى جديدة منبثقة عنها، وجميع هذه الحكايات والقصص مرتبطة بالقصة الرئيسة، وهي قصة الملك شهريار الذي خانته زوجته مع عبد له، وبعد معرفته ذلك قرر كل ليلة الزواج من فتاة عذراء وقتلها عند الصباح، ولم يجد وزيره فتاة يقدمها له بعد ذلك سوى ابنته التي ظلت تحكي للملك كل ليلة حكاية مشوقة، وتربطها بحكاية أخرى مشوقة تحكيها له في اليوم التالي [xxvii]. فالفكرة الرئيسة التي قامت عليها هذه القصة هي فكرة التشعب والتفاعل، وهي قريبة بشكل كبير من فكرة التشعب والتفاعل في النص الرقمي؛ لأن القارئ قد يترك بعض قصص ألف ليلة وليلة لينتقل إلى البعض الآخر، وهي حرية تجعل من هذه القصص نصاً مفتوحاً تفاعلياً.

لقد مر الأدب العربي بمراحل متعددة من التطور والتغير حاول فيها التجديد من أشكاله وأجناسه المتنوعة؛ حتى يواكب التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية السائدة، فبدأ أدباً شفاهياً، ثم تحول في عصور التدوين وانتشار أدوات الكتابة إلى أدب ورقي، ثم انتقل من الورقية إلى الرقمية في ظل سيطرة التكنولوجيا على شتى مناحي الحياة، وحتى فكرة استفادة الأدب من هذا السيل التكنولوجي مر بعدة مراحل بدءاً بالأدب الرقمي الذي ينقل على شاشة الحاسوب فقط دون تدخل من المتلقي حتى

مرحلة التفاعل والاستعانة بالنصوص المترابطة في تثبيت ودعم وجهة نظر المؤلف المطروحة داخل النص الأدبي.

وفي مرحلة الشفاهية كان يتم إنتاج النص وتلقيه عبر ثلاث مراحل، تمثل المرحلة الأولى مرحلة الإنتاج من قبل المبدع أو الأديب، ثم ينتقل شفاهة إلى الراوي الذي يحفظه في ذاكرته، ويقوم بروايته على جمهور المتلقين في المناسبات المختلفة، وحتى فكرة إلقاء النص مباشرة من قبل المبدع على جمهور المتلقين بشكل مباشر، كانت تلقى في النهاية المصير نفسه؛ لأن المتلقين بدورهم كان يروونه إلى متلقين آخرين؛ ذلك لأن البيئة العربية آنذاك كانت بيئة شفاهية تعتمد على الحفظ والرواية، ويمكننا أن نمثل الراوي قديماً بجهاز الحاسوب حديثًا تجاه النصوص المترابطة؛ ذلك لأن الراوي كان يجمع في ذاكرته آلافًا من النصوص المتعددة والقصائد المتنوعة، ويستطيع أن ينتقل من نص إلى نص آخر، ومن رواية لشاعر إلى شاعر آخر متى استدعى الأمر ذلك، كما أنه يستطيع الربط بين النصوص والمقارنة بينها كما حدث ذلك في مرحلة جمع القرآن الكريم، وتمييز اللهجات المتعددة التي جمع عليها القرآن، وتعدد رواياته المختلفة. فقد جمع النص القرآني كما نعلم من صدور الصحابة والتابعين، وجميعهم كان يستطيع التمييز بين النص القرآني المستقيم وبين النصوص التي بها أخطاء أو مخالفات، كما أن عديداً من رواة الشعر والأدب اشتهروا بحفظ عدد كبير من القصائد وتمييزها ونسبها لأصحابها، "ويشترط في راوية الشعر أن يكون نابهًا، له القدرة على الحفظ السريع، مع قوة ذاكرة حاضرة، وسرعة بديهة نابهة لها القدرة على استرجاع المادة المخزونة في الذاكرة، وإنشادها حينما يتطلب الموقف ذلك" (xxviii).

وقد وجد ما يعرف بالراوي الجامع، الذي كان لديه علم بالنص ومنشئه وموطنه وظروفه المتعددة، ويرى د. سعيد يقطين أن أهمية هذا النوع من الرواة قد ازدادت

في عصور التدوين عندما أراد المسلمون جمع القرآن وجمع التراث العربي المتنوع، وتحول الإبداع العربي من شفاهي إلى كتابي؛ "لقد أدى هذا التحول إلى تغير وظيفة الراوي في علاقته بالنص؛ لأنه صار يعمل على (تنظيم) مكوناته و(تأليف) بعضها مع بعض، و(تصنيفـــها) لتصير قابلة لتقدم من خلال الكتاب. إن النص الشفاهي شذري بطبيعته أو أنه يتشذر مع الزمان؛ لأن الذاكرة الفردية أو الجماعية معرضة للنسيان، وليس النسيان غير الحذف الذي يعتري أجزاء من النص الأول. ويتمثل دور الراوي – الجامع في (جمع) شذرات الأجزاء والبنيات، ولم بعضها إلى أطراف بعض، وترتيبها لتظهر على شكل (بنية) أو (بنيات) نصية كاملة ومتكاملة"(xxix).

يمكننا أن نتخيل تلك الصورة التي تمنحها ذاكرة هذا الراوي في تقديمها للمعلومات المختلفة ومقارنتها بما يقدمه الحاسوب في النص المترابط، فالأول يجمع عديداً من المعلومات المترابطة، والثاني عبارة عن عدة روابط يجمعها حقل معرفي واحد، وكذلك فالراوي يقدم هذه المعلومات، ويربط بين بعضها البعض متى أراد، أو متى طلب منه المتلقي ذلك، والنص المترابط يقدم نفس الخدمة للمتلقي، ولكن تختلف هذه المقارنة بأن ذاكرة الأول هي ذاكرة بشرية يملؤها المبدع أو الراوي ببعض المعلومات، بينما يعتمد الثاني على ذاكرة حاسوبية صماء يملؤها كذلك المبدع بما يشاء من معلومات ونصوص مترابطة مع مراعاة الفروق المتعددة بين النموذجين. ولكن نستطيع أن نقول إن فكرة النص المترابط إنما تجلت قديماً – ولو بصورة باهتة– في فكرة الرواية الشفاهية التي تعتمد على السماع، وحتى بعد التدوين والاهتمام بالكتابة، ظهر عديد من النصوص التي تحققت فيها فكرة الترابط والتشعب، وأطلق عليها النصوص البصرية؛ لكسرها النمط التقليدي المتعارف عليه، وتشعبها بطرق جديدة غير مألوفة من قبل؛ "فمصنفو النصوص وجامعوها صاروا يتجاوزون تقييد النصوص وتدوينها حسب استحضارها، وباتوا يتفننون في ترتيبها وتبويبها

(العقد الفريد نموذجًا)، كما أن النقاد صاروا يهتمون بصناعة النص وطريقة بنائه، وتوليف عناصره (ابن قتيبة – ابن سلام)، كما أن الكتاب والشعراء باتوا يولون أهمية خاصة لكتابة إبداعاتهم بكيفية تقوم على التفرد، تجاوزًا للصورة التي كانت لدى نظرائهم القدامى (أبو نواس، أبو تمام)" (xxx).

فمرحلة الكتابة جعلت الأدباء والشعراء يحاولون الحفاظ على نتاجهم الأدبي من خلال تدوينه وحفظه، واعتمدوا في ذلك على طرق مختلفة في الكتابة تجعلهم يتميزون عن غيرهم من خلال الخروج عن المألوف، فحاولوا كسر نظام القصيدة العمودية من خلال إبداع أشكال جديدة في كتابة القصيدة؛ كالموشحات، أو المربعات، أو المخمسات، وغيرها العديد من أشكال بناء القصيدة التي ظهرت وتطورت مع تطور الحياة والحضارة العربية في العصر العباسي وما بعده من عصور.

وهذه الأشكال الجديدة للقصيدة قد اعتمد معظمها على فكرة ترابط وتشعب أجزاء القصيدة، كما أن فكرة المتون وشروحها المتعددة التي أشرنا إليها سابقًا قد بينت كيف كان النص العربي القديم يعتمد في كثير من أشكاله على فكرة الترابط والتشعب، ونقد المؤلفين والشراح، وهي فكرة تحمل بين طياتها كثيرًا من أسس النظريات البنيوية الحديثة التي نادت بموت المؤلف، والترابط والتعالق بين النصوص بعضها البعض.

فالقصيدة العربية إنما تطورت وتغيرت بعض ملامحها لتغير الظروف المجتمعية التي فرضت على الذائقة الأدبية فكرة التجديد والتطور، وهي دائمًا مستمرة باستمرار هذه التغيرات؛ "فقد حدثت نقلة نوعية ثانية للقصيدة العربية بعد التغيرات السياسية في أوربا في فترة ما بعد الثورة الفرنسية؛ حيث عندما لم تأتِ هذه الثورة بثمارها، شعر الإنسان الأوربي حينها بالإحباط والتشاؤم، وانتشر المذهب الرومانسي الذي فرض نفسه على القصيدة العربية حينذاك بسبب مواءمة الظروف السياسية لذلك، وقد أحدث المذهب الرومانسي خلخلة واضحة في القصيدة العربية، ولكن بعد الحرب

العالمية الثانية فرضت العوامل السياسية والمجتمعية على الشعراء التوجه إلى الواقعية، التي أحدثت كذلك تطوراً كبيراً في شكل القصيدة، فظهر الشعر الحر على يد أحمد باكثير، ومحمد فريد أبي حديد، ونازك الملائكة والبياتي وغيرهم من شعراء الوطن العربي، وأصبحت القصيدة تتخلى بشكل كبير عن عموديتها وأوزانها وقوافيها المعروفة، وبعدها تأذن الحياة المجتمعية بظهور قصيدة النثر، والقصيدة المركبة التي تحمل سمات الشعرية والسردية، إلى أن تصل إلى القصيدة الرقمية التفاعلية" [xxxi]. ويأتي ذلك استجابة للمتغيرات الثقافية والمجتمعية المتنوعة بسبب التطور الكبير الذي فرضته التكنولوجيا في مجتمعاتنا.

رابعًا: كتب الصلات الأندلسية وسمات النص المترابط:

إذا أمعنا النظر في كتب الصلات من حيث ترتيبها وتنسيقها، وكذلك طرق فهرستها، نجد أنها تعبر بطريقة غير مباشرة عن فكرة الترابط التي يحملها النص الرقمي/ التفاعلي، وإن كانت هناك فروقٌ جوهرية بين هذه وتلك، إلا أننا نحاول أن ندلل على أن الكتابات العربية القديمة عرفت ذلك النسق الشكلي من العرض والتقديم، إلا أنها جاءت بصورة ورقية، وهذه الصورة ربما تطور عنها ذلك النسق المترابط الذي عرفه النص الرقمي فيما بعد، وإذا كانت هذه النصوص العربية قد اتسمت بهذه السمة، فذلك يعني أنها عرفت الانفتاح والتواصل فيما بينها، ولم تتوقف عند حد بعينه.

والذي يطالع كتب الصلات – وهنا نقصد ما وصلنا منها؛ لأن هناك العديد منها قد فقد[xxxii]– نجدها تتناول تاريخ الأندلس وثقافته، وكذلك آدابه بدايةً من دخول المسلمين الأندلس حتى نهايته. ومن خلال اتصال هذه الكتب عبر المراحل الزمنية المتتابعة التي تعبر عن تاريخ الأندلس، وتعقيبات المؤلفين عليها، أو تكملتها في كتب

أخرى لاحقة، وكذلك شرح بعض موادها من قبل البعض الآخر، وكذلك تحقيقها والتعقيب على نسخها المختلفة يحقق ما يعرف الترابط والتعالق.

أ- الترابط في كتب الصلات:

هذا الترابط تبدو من خلاله النصوص المختلفة – كتب الصلات- على أنها شبكة واحدة متصلة، أو حلقات متواصلة يمكن للمتلقي أن يستدعي أيًا منها؛ للتعرف على تاريخ تلك الفترة التي يعبر عنها كتاب ما من بين هذه الكتب، وهذه الفكرة تشبه إلى حد بعيد فكرة الرابط أو الأيقونة التي ينبني عليها النص الرقمي، فـــ "مفهوم الترابط النصي كان حاضراً في الثقافة العربية كتعلق نصي، وارتباط أي انتقال بين وحدات النص، وكروابط سياقية يتم استكناهها والكشف عنها من خلال القراءة، ومن خلال البحث في مختلف العلاقات التي تربط البنيات أو الوحدات النصية مع بعضها البعض، وحينما يتم استدعاء هذا المصطلح وتوظيفه في الأدب الرقمي، فإنه يحمل بدلالة تزكي الحمولة المعرفية التي راكمها ضمن نظرية الورقي، والمعززة لمعنى الربط والارتباط"(xxxiii).

ويمكننا العودة مرة أخرى إلى روابط قصيدة الشاعر مشتاق عباس معن؛ للتعرف على فكرة الترابط التي يسير من خلالها النص، كما يلي:

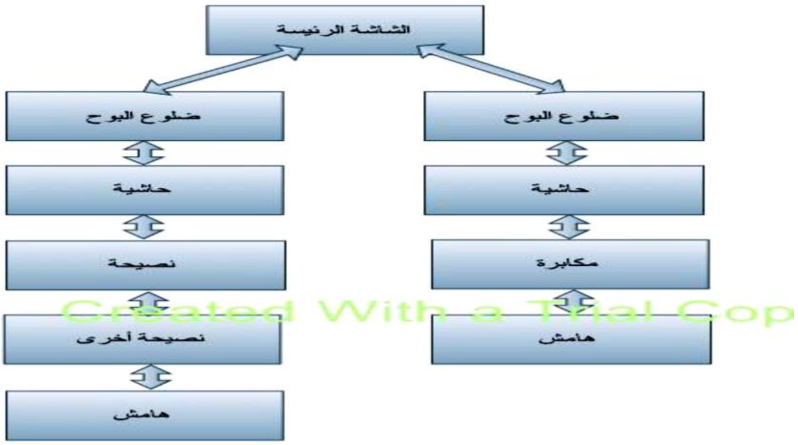

فالرابط (ضلوع البوح) على سبيل المثال ينقل المتلقي إلى شبكة أخرى من الروابط التي يحمل كل رابط منها جزءًا متصلاً بمتن القصيدة، ويمكن للمتلقي أن ينتقل بينها متى أراد؛ ليتعرف على مضامينها المختلفة، وهنا نشير إلى أن قراءته لا تتسم بالخطية التي يعرفها النص الورقي، فيمكنه اختيار أي رابط، ومن ثم التفاعل معه، والمتلقي خلال ذلك يلتقي بروابط أخرى فرعية تعرف بالوسائط المتعددة، التي تحمل في طياتها أصواتًا وموسيقى وصورًا، وقد يظهر الكلام من خلالها ثابتًا أو متحركًا على شاشة الحاسوب.

إن ما يهمنا من هذا الجزء هو فكرة مركزية الرابط، بمعنى ارتباط الأيقونات فيما بينها لتمثل في النهاية الشكل الكلي العام للنص، والذي يمكن استجلاؤه في النصوص الورقية القديمة من خلال ما أشرنا إليه هنا، وهو كتب الصلات الأندلسية التي تحدث عنها جميعًا د. عبد الواحد عبد السلام شعيب في بحثه (كتب الصلات الأندلسية، نهج فريد في فن التراجم الإخبارية) [xxxiv]. حيث تحدث عما وصلنا منها وما لم يصل، وصنفها حسب ترتيبها الزمني. وهذه الكتب يمكننا رؤيتها من منظور الترابط الذي يتناوله هذا البحث في تقديمها للمراحل التاريخية المختلفة في الأندلس، وما تحمله من ثقافة وفن، وكذلك أدب، عبر الشكل الآتي:

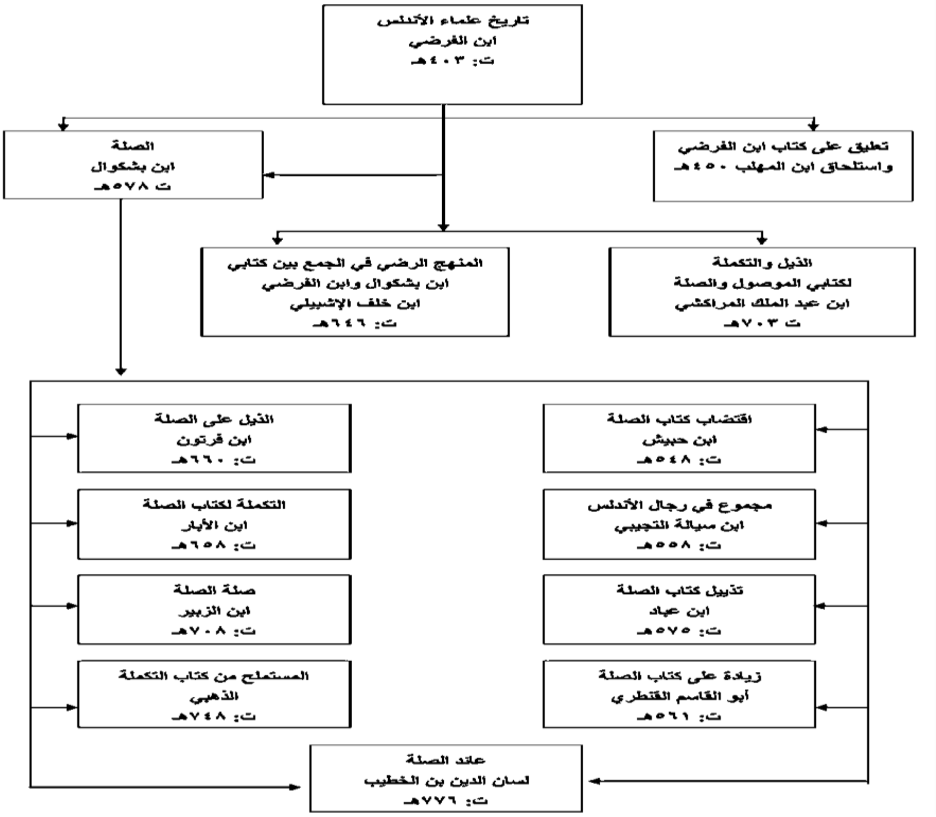

ومن خلال الشكل السابق، نجد أن كتاب ابن الفرضي يمثل المركز الذي تشعبت منه الكتب الأخرى، وكأنه يقابل في النص الرقمي الرابط الرئيس الذي تتشعب منه الروابط الأخرى، وهذا المركز يشير إلى تاريخ الدولة الإسلامية في الأندلس في الفترة من دخول عبد الرحمن الداخل الأندلس حتى أواخر القرن الخامس الهجري، وقد عنى ابن الفرضي فيه بالحديث عن رجال الأندلس المشهورين، ولذلك ورد ذكر هذا الكتاب في المصادر المختلفة بعنوان: تاريخ علماء الأندلس، وكذلك تاريخ العلماء والرواة بالأندلس، وأيضاً تاريخ العلماء، ذلك أن نسخته التي وصلت إلينا لم تكن تحمل عنواناً.

وقد وضح ابن الفرضي منهجه في الكتاب حيث يقول: "هذا كتاب جمعناه في فقهاء الأندلس، وعلمائهم، ورواتهم، وأهل العناية منهم، ملخصاً على حروف المعجم، قصدنا فيه الاختصار، إذ كانت نيتنا قديماً أن نؤلف في ذلك كتاباً موعباً على المدن، يشتمل على الأخبار والحكايات، ثم عاقت عوائق عن بلوغ المراد فيه، فجمعنا هذا الكتاب مختصراً" (xxxv)، ويذكر أنه يورد فيه أسماء الرجال وأنسابهم ومن اشتغل منهم بالحديث والرواية والأدب بشكل عام، وكذلك من تولى منهم الحكم والقضاء في هذه الفترة المؤرخ لها.

ولهذا يعد هذا الكتاب المصدر الأول الذي يؤرخ لرجال الأندلس في فترة الحكم الإسلامي بها، وهو ما نعده البداية التي تنطلق منها بقية الكتابات الأخرى في هذا المجال.

ويزيّل الكتاب السابق بكتاب ابن بشكوال المسمى (الصلة) الذي يصل من خلاله كتاب ابن الفرضي ليكمل التراجم المتنوعة لأهل الأندلس إلى تراجم ابن الفرضي التي تناولت القرنين الثالث والرابع الهجريين، وأكمل بعد ذلك تراجمه لرجال عصره حتى منتصف القرن السادس الهجري 534هـ، فنراه يقول في مقدمة كتابه: "فإن أصحابنا- وصل الله توفيقهم، ونهج إلى كل صالحة من الأعمال طريقهم- سألوني أن أصل لهم كتاب القاضي الناقد أبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي الحافظ المعروف بابن الفرضي – رحمه الله- في رجال علماء الأندلس ... وأن أبتدئ من حيث انتهى كتابه، وأين وصل تأليفه متصلاً إلى وقتنا"(xxxvi). وقد عمد ابن بشكوال إلى الأعلام الذين لم يذكرهم ابن الفرضي في عصره، وتحدث عنهم ثم انتقل بعد ذلك إلى ما بعد عصر سابقه حتى تاريخ الانتهاء من كتابه 534هـ.

ونحن هنا إذ نبحث في فكرة ترابط النصوص فإن الكتابين يعدان حلقتين متصلتين تؤرخان لتلك الفترة المذكورة، كما أننا نلحظ تلك الحدود والتخوم بينهما في اختيارهما

للأعلام في عصريهما، وإن كان ابن بشكوال أكثر اتساعًا وغنًى في مادته عن ابن الفرضي.

ومما يزيد من فكرة الترابط، ويؤكد عليها كتاب آخر ثالث جمع فيه صاحبه بين عصري سابقيه، وهو كتاب (الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة) لابن عبد الملك المراكشي، ت: 703هـ، وهذا الكتاب تتداخل تراجمه مع الكتابين السابقين، ثم هو يضيف عليهما تراجم عصره في القرنين السادس والسابع الهجريين، ولذلك نجد محققي الكتاب يذكرون في مقدمة التحقيق أن المراكشي "استدرك على ابن الفرضي ومن تلاه بعض أعلام القرون الأولى، ولكن معظم تراجم كتابه هم من أهل القرنين السادس والسابع، وهو حينما يعيد كتابة التراجم الموجودة عند سابقيه، فإنما لزيادة فائدة، وإضافة شيء جديد، أو لتصويب بعض الأخطاء والتنبيه على ما فيها من أوهام" (xxxvii). ولذلك يمكننا تخيل فكرة الترابط بين هذه الكتب الثلاث من خلال الشكل الآتي:

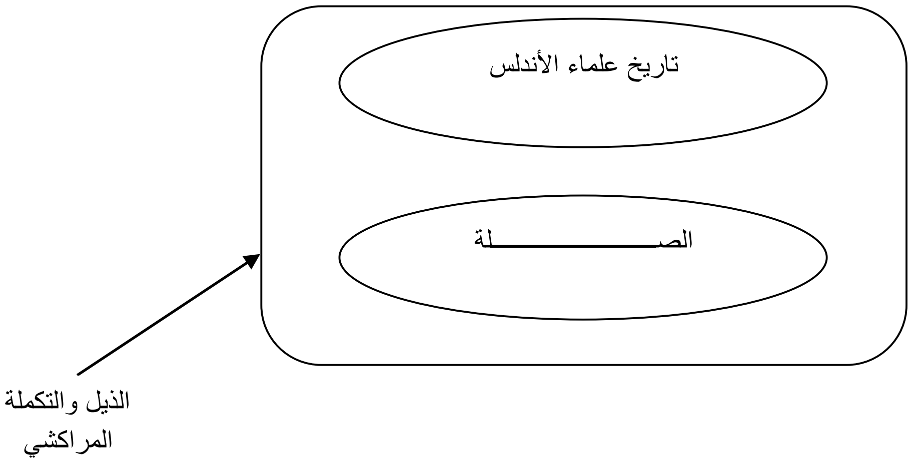

فعلى الرغم من أسبقية كتاب ابن الفرضي وأنه يعد الأيقونة المركزية الرئيسة لتجميع كتب الصلات، إلا أن دائرة كتاب المراكشي هي الأوسع من حيث الامتداد الزمني، وكذلك غزارة المادة العلمية وكذلك الأدبية، وكأن هذه الأيقونة تحيلنا على ما تحيل عليه الأيقونات الأخرى.

كما أن هذا الكتاب يتسم بطول التراجم ووفرة مادتها، كذلك غزارة المادة الأدبية والعلمية التي لم يتطرق إليها أحد من سابقيه، وكذلك كثرة الحوادث التاريخية، والحديث عن الأنساب والأشخاص، وهو في كل هذا يؤرخ لعلماء عصره وأدبائه، كما يستدرك من قد أغفله كل من ابن الفرضي وابن بشكوال قبله، وزاد كذلك ترجمات متعددة لأهل المغرب بجانب أهل الأندلس، ولاتساع مادة هذا المؤلف وغزارة ترجماته وصعوبة مسلكه يذكره ابن الزبير في كتابه (صلة الصلة) قائلاً: "وكتابه المسمى بالذيل والتكملة لكتاب الصلة، وعلى هذا الكتاب عكف عمره، ولم يتم له مرامه منه إلى أن لحقته وفاته، لأنه ألزم نفسه فيما يعتاض الوفاء به من استيفاء ما لم يلتزم ابن بشكوال، ولا الحميدي، ولا ابن الفرضي، ومن سلك مسلكهم"[(xxxviii)].

ومن كتب الصلات ما هو أسبق من كتاب الذيل والتكملة في تاريخه، وهو كتاب (التكملة لكتاب الصلة) لابن الأبار، ولكننا أشرنا هنا لكتاب المراكشي أولاً لأنه جمع بين صلة ابن الفرضي وموصول ابن بشكوال، بينما يصل ابن الأبار كتابه (التكملة) بكتاب ابن بشكوال فقط.

وهذا الكتاب (التكملة) يأتي ليكمل تلك السلسلة المترابطة من تاريخ رجال الأندلس، ويظهر كأيقونة جديدة يمكن أن نضيفها إلى الروابط الأخرى المحققة لفكرة التشعب والتعالق في كتب الصلات، فقد وصل به كتاب ابن بشكوال، كما أنه استدرك ما فات كل من ابن الفرضي وابن بشكوال، ويذكر ابن الأبار ت: 658هـ أن كتابه يتناول الفترة من 631هـ– عشرين حولاً بعد ذلك، ولكنه يذكر كذلك أنه لم يتوقف

عند هذه الفترة فقط، بل عاد إلى تاريخ ابن الفرضي، وأكمل ما قد فاته هو ومن بعده، "ولم أقتصر به على الابتداء من حيث انتهى ابن بشكوال، بل تجاوزته وابن الفرضي، أتولى التقصي، وأتوخى الإكمال، وربما أعدت من تحيفا ذكره، ولم يتعرفا أمره، وإن خالفتهما في نسق الحروف" (xxxix).

ولعل كتب الصلات التي وصلت كتاب (الصلة) لابن بشكوال تحديداً عديدة ومتنوعة، منها ما وصل إلينا كالتكملة كما ذكرنا، وكذلك صلة الصلة لابن الزبير، ومنها ما لم يصل ككتاب ابن عياد (تذييل كتاب الصلة)، وكتاب (الذيل على الصلة) لابن فرتون، وغيرهما من الكتب التي ذكرناها في مخطط كتب الصلات، وهي جميعاً تشترك في الاتجاه والغرض، وكذلك المادة المختارة، ومن خلال ذلك يكمل بعضها البعض.

ومن كتب الصلات التي ظهرت لتصل كتاب (التكملة) لابن الأبار، كتاب (المستملح من كتاب التكملة) لشمس الدين الذهبي ت: 748هـ، وهذا الكتاب كان يعد من المفقودات إلى أن عثر عليه وقام بتحقيقه الدكتور/ بشار عواد معروف، وقام بنشره عام 2008م، وفي هذا الكتاب يختار الذهبي بعض التراجم التي قدمها ابن الأبار في كتابه، ولكنه يضيف على المادة المقدمة حولها، ناقداً ومعلقًا، ومصوباً، ومستدركًا ما فات كتاب التكملة من معلومات، ولذلك يعده محقق الكتاب اختصاراً للتكملة، وقد بين الذهبي منهجه ومطلبه من كتابه في الفقرة التي ذكرها آخره قائلاً: "كتبت المشهورين ومن يقاربهم، وحذفت المجهولين ومن يقاربهم على أن أكثر المشهورين بالنسبة إلينا مجهولون لبعد الديار، وعدم اتصال رواياتهم بنا، ولكن كتبتهم لأتعرف بهم، وأدري شأنهم، وفيه شيء متعب تطلبه، وهو ذكر شيوخ الرجل والرواة عنه بكناهم" (xl).

وفي خاتمة كتب الصلات يأتي كتاب (عائد الصلات) للسان الدين بن الخطيب، ورغم أنه لم يصل إينا إلا أن النقاد والمؤرخين أمثال السيوطي وغيرهم أشاروا إلى مكانته العلمية والأدبية، كما احتفظ ابن الخطيب ببعض نصوصه في كتابه الإحاطة، وكان قد أرخ فيه لفترة القرنين السابع والثامن الهجريين.

ثمة قراءات متعددة ترى أن الطريقة غير المنتظمة في القراءة تعبر عن فكرة (النص المترابط)، حتى وإن كان النص ورقيًا لا رقميًا، فتذكر د. فاطمة البريكي في كتابها "مدخل إلى الأدب التفاعلي" مثالاً للكاتب (فيليب ساير) يقول فيه: "أيهما يعد نصًا متفرعًا، الغلاف الورقي لرواية، أم الصفحة الأولى من جريدة؟ وقال مجيبًا: إنه يرى، أن الصفحة الأولى لجريدة أقرب إلى تمثيل مفهوم النص المتفرع من غلاف الرواية، وعلل ذلك بقوله إن هذه الصفحة تمنح قارئها حرية القراءة دون أن تفترض عليه خطًا ثابتًا يتقدم فيه من الأمام إلى الخلف" (xli). وإذا كانت فكرة الترابط تفرض عدم خطية القراءة، فإننا يمكن تخيل كتب الصلات من خلال هذه السمة (عدم الخطية) ذلك أن معظم كتب الصلات تناولت أكثر من فترة، وتداخلت مع بعضها البعض في الحديث عن تراجمها، ولذلك يمكن قراءتها بطريقة غير منتظمة بمعنى اختيار الكتاب الأقرب منها حسب رؤية المتلقي، وكذلك البحث عن أية ترجمة لشخص ما منفصل عن بقية الترجمات الأخرى.

نتحدث هنا عن فكرة الترابط بمفهومها البسيط الأولي، وليس ما تشير هذه الخاصية في النص الرقمي بشكلها المكتمل، والتي لا يمكن تحقيقها دون وجود وسيط رقمي (حاسب آلي)، يمكن المتلقي من المرور بين العقد والروابط المختلفة، ويختار منها ما يراه مناسبًا بمجرد الضغط على الفأرة لجهاز الحاسوب، ونحن إذا أضفنا البعد الرقمي إلى كتب الصلات، بمعنى كتابتها وتخزينها على الحاسوب بعلاقاتها المتشابكة والمتصلة، فإنها سوف تشبه إلى حد بعيد (النص المترابط النجمي) الذي

عرفته "لبيبة خمار" بقولها: "تسمح العقدة المركزية بالولوج إلى مجموعة من العقد المحيطة بالمركز، والمتضمنة لمعلومات من المستوى الثاني؛ لأنها تتضمن معلومات إضافية تضيء العقدة الأساس، وانطلاقًا من العقدة المركزية ينشط المستعمل الروابط، ويحصل على المعلومة الإضافية ومنها يعود إلى المركز" (xlii). ويمكننا اعتبار كتاب ابن الفرضي هو المركز بالنسبة لبقية كتب الصلات، أو كتاب الصلة لابن بشكوال هو المركز لبقية الصلات الأخرى التي ارتبطت به، وكذلك الحال مع التكملة وصلته المستملح.

ب- التعالق والتشعب في كتب الصلات:

ترتبط كتب الصلات بعلاقات تربطها بعضها البعض، وتجعلها كذلك تحمل سمة التشعب، لعل من أبرزها الاستدراك أو التعليق أو الإضافة، أو أية خصيصة من الخصائص التي كان يضيفها المؤلف اللاحق على إنتاج المؤلف السابق، ولذلك يبدو دور المتلقي فيها واضحًا إذا ما اعتبرنا المؤلفين التاليين للمؤلف الأصلي يضيفون إليه – من خلال تفاعلهم هذا– موادًا جديدة وأبعادًا مختلفة لم تكن موجودة من قبل.

وكثيرًا ما تحدث نقاد الأدب الرقمي عن دور المتلقي في إعادة إنتاج النص في النص المترابط، ذلك أن المؤلف يمنحه إمكانية الإضافة، والحذف والتعديل، والتعليق، والشرح، ويكون تفاعله ماديًا حقيقيًا بمعنى أنه يتدخل في جسد النص عبر التلامس المادي مع (ماوس) الحاسوب.

ولذلك يعد المتلقي من منظور الأدب الرقمي التفاعلي منتجًا موازيًا للمؤلف، بل قد يزيد عليه درجة؛ ذلك أن المؤلف تنتهي صلته بالنص بمجرد الانتهاء منه، بينما يتدخل المتلقي فيه، ويضيف إليه حسب ميوله ورغباته، فينتج نصًا مغايرًا تختلف ملامحه وأفكاره عن النص السابق، كما أن المتلقي هو الوحيد القادر على تحديد هوية النص الأجناسية عبر رؤيته الشخصية له، ومن هنا كان المتلقي من منظور الأدب

الرقمي متفاعلاً حقيقيًا، ومشتركًا فعليًا في عملية الإبداع؛ "فالعمل التفاعلي بطرائق تقديمه المختلفة للقارئ ليس نصًا مكتملاً، بل إن كل قارئ يحاول أن يكمله بطريقته الخاصة، ويتحكم في ذلك عوامل كثيرة منها: رؤيته الفكرية للقضية التي يدور حولها العمل، ومزاجه الشخصي، وتعاطفه مع الشخصيات، أما النصوص التي تقدم نهايات مختلفة بناء على اختيار القارئ فهي أيضًا غير مكتملة بالمعنى الحرفي لكلمة اكتمال؛ لأن النهاية تنتظر من القارئ أن يكملها" (xliii).

وإذا كان التفاعل الذي يحدث مع النص المترابط الرقمي يختلف عن تفاعل المتلقي مع النص الورقي؛ إذ إن الأول تفاعل حقيقي بينما الثاني لا يتعدى كونه بعض الانطباعات التي يصدرها المتلقي تجاه النص، وإن كانت نظرتنا تجاه كتب الصلات تختلف عن ذلك؛ لأن المؤلف اللاحق يستدرك ما فات السابق، ويضيف عليه، وينقد ذلك، ومن هنا نجد تفاعلاً حقيقيًا ملموسًا، لا يختلف كثيراً عن التفاعل في النص الرقمي.

وكما يوجد تفاعل مباشر بين المتلقي والنص، فإن هناك تفاعلاً آخر في غاية الأهمية، ربما يشير إلى فكرة الترابط التي نحن بصددها، وهي فكرة تفاعل النصوص بين بعضها البعض، والتي أطلق عليها النقاد أمثال جوليا كريستيفا، ورولان بارت بالتناص، وكما أطلق عليه جيرارجينت المتعاليات النصية، وتشير هذه الفكرة إلى أن النص ما هو إلا نتاج مجموعة نصوص أخرى متعالقة معه، ومرتبطة به بصور متنوعة، وهذه الفكرة تشير بشكل كبير إلى مدى الترابط بين النصوص، وربما نجد لذلك صدى كبيراً في كتب الصلات من خلال تعالقها وترابطها بين بعضه البعض، على أن د. سعيد يقطين يشير إلى أن هذا التعالق يمكن أن نطلق عليه مصطلح (التفاعل النصي)، "تعددت المصطلحات العربية للدلالة على التناص، والمتعاليات النصية، واقترحت منذ البداية استعمال التفاعل النصي للدلالة على كل ما يتصل

بالعلاقات النصية، ورأيت أن مصطلح التفاعل أكفأ وأدق وأشمل من التناص والتداخل والحوار والتعالي وغيرها من المصطلحات التي وظفت في العربية؛ لأنه يؤكد البعد التفاعلي الذي يقع بين النصوص أو البنيات النصية داخل نص معين" (xliv). ومجموع تفاعل المتلقي تجاه النص مع تفاعل وتعالق النصوص هو ما يحيلنا إلى فكرة التشعب والترابط، التي تتميز بها كتب الصلات؛ إذ إن كل مؤلف أخذ من سابقه، وأضاف عليه، وترابطت جميع المؤلفات في سلسلة متصلة تهدف إلى تقديم ترجمات متعددة لبعض رجال وعلماء الأندلس.

ومما يزيد من تأكيد فكرة تشعب هذه النصوص وترابطها، ذلك الكم الكبير من الشراح والمعلقين والمحققين الذين ارتبطوا بهذه المؤلفات، ويتفق هذا مع كلام د. لبيبة خمار، التي ترى أن الكتابات المترابطة في تراثنا القديم التي اعتمدت التفسير والتعليق والشراح ... إلخ، أسفرت عن مجموعة من المؤلفين الذين يتسمون بالتشاركية في تأليف المادة المطروحة، كما يلي:

- المؤلف/ الرائد: مؤلف من الدرجة الأولى.
- المؤلف/ الشارح: مؤلف من الدرجة الثانية.
- المؤلف/ المحشي: مؤلف من الدرجة الثالثة.
- المؤلف/ المعقب: مؤلف من الدرجة الرابعة.
- المؤلف/ مدون الملاحظات: مؤلف من الدرجة الخامسة(xlv).

ويبدو هذا التراتب بين المؤلفين واضحًا بشكل كبير في كتب الصلات بدايةً من كتاب ابن الفرضي حتى كتاب لسان الدين بن الخطيب، وإذا أردنا التدليل على ذلك فيمكننا طرح نموذجًا من بينها كمثال، وهو كتاب: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، فإذا ما حاولنا تصنيف المؤلفين التشاركيين في مادة هذا الكتاب، فإننا يمكن تقسيمهم كما يلي:

- المؤلف/ الرائد: وهو المراكشي الذي قام بتأليف هذا الكتاب، وجمع مادته، ولكن يمكننا أن نعد كلاً من ابن الفرضي، وكذلك ابن بشكوال ضمن هذا العنصر- المؤلف/ الرائد- لأن المراكشي بنى مادته على كتابيهما وتأثر بهما كثيراً، وعقب على ترجماتهما، فإذا ما أعددناهما من كتاب العنصر الأول، وأعددنا المراكشي من كتاب العنصر الثاني – المؤلف الشارح- ربما صح تقديرنا، ويظهر ذلك جلياً من عنوان الكتاب الذي يجعله ذيلاً، وتكملة لكتابيهما، ورغم أنه يستدرك ما فاتهما من ترجمات متعددة في عصريهما، إلا أنه يقتبس مادته الكلية داخل كتابه من كتابيهما.

كما أن كتابه كذلك أخذ عديداً من مواده وترجماته من شيوخه الذين تعلم على أيديهم، من خلال الرواية والسماع، وقد زاد عددهم عن الخمسين شيخاً، ويمكننا أن نضم هؤلاء الشيوخ أيضاً إلى فئة المؤلف الرائد، لأنهم أصحاب النص الأصلي، ومنهم من رواه له، كأبي زكريا بن عتيق، وابن محمد البلوي، والرُّعيني، وابن القطان، وابن القشاش، وغيرهم الكثير، والمراكشي يصرح في مقدمة كتابه أنه قد جمعه مما لا يحصى من روايات الشيوخ، مما تلقاه عنهم شفاهية، أو بخط أصحابه ممن لهم عناية بالرواية والأنساب، "وقد جرى عمل الأشياخ على تقديم إسنادهم إلى من تقدمهم من المؤرخين لينسبوا إليهم ما ينقلون عنهم إلى كتبهم هذه، ثم يعقبون ذكر من يذكرون من الرواة أو بعضهم بتعيين من ذكره، وذلك رأي رشيد، وعمل صالح سديد أجل مثمراته تبرؤ الناقل من عهدة ما نقل، والإحالة به على ذكره الأول تقوية للاحتجاج، وتصحيحاً للاستناد إليه"[xlvi]. ومن خلال ما ذكره المراكشي يمكن اعتبار كل من أسهم في هذا العمل برواية أو معلومة من باب المؤلف الرائد، أو على الأقل يشتركون معه في تأليف هذا الكتاب.

- المؤلف/ الشارح: وهذا النوع من المؤلفين يقوم بشرح النص الأصلي والتعليق عليه، وتقديمه للقراء، ومن أمثلته في تأليف كتاب المراكشي هم تلاميذه الذين رووا الذيل والتكملة، وقاموا بشرحه وتقديمه، وكان من أبرزهم: الراوية: القاسم بن يوسف التجيبي صاحب (البرنامج) ت: 730هـ، وقد روى عن أستاذه السفر الخامس والسادس من الكتاب، "ونرى من هذين السفرين كيف وثق التجيبي كتاب شيخه، وأغناه بالتعليقات والاستدراكات والإلحاقات" [xlvii]. وكان منهم كذلك ابنه أبو عبد الله محمد المراكشي، الذي روى عنه نسخه الذيل والتكملة، التي اشتهرت في الأندلس، وأخذ عنها كل من الخطيب في كتابه الإحاطة كما ذكر محققو الكتاب. ويعد رواة الكتاب الذين نقلوه مباشرة من المراكشي هم من ينطبق عليهم مسمى المؤلف الشارح لإضافاتهم المتعددة إلى المتن، وتعليقاتهم المتنوعة كذلك.
- المؤلف/ المحشي، المعقب: نستطيع أن نعثر على هذه الأنواع من المؤلفين المتعلقين بكتاب المراكشي فيما لحقه بعد ذلك من روايات وإضافات، وفي مقدمة تحقيق هذا الكتاب ذكر المحققون عدداً كبيراً جداً ممن رووا الكتاب بعد جيل الرواة الأول، وكذلك عدداً ممن نقلوا عنه في مؤلفاتهم المختلفة، وإذا كان المؤلف المحشي هو من يقوم بوضع حواشي الكتاب، وكذلك التفسير والتوضيح، وإذا كان المؤلف المعقب هو الذي يضع تعقيباته على المتن، وكذلك الشروح، فإننا نظفر بكم كبير ممن قاموا بذلك تجاه كتاب المراكشي، ولعل من أبرزهم ابن مرزوق الذي كانت له تعقيبات متعددة على متن الكتاب، وعلى رواية القاسم التجيبي كذلك، "وقد وجدنا له نقولاً عن السفر الأول والسفر الثامن من هذه النسخة، وذلك في كتابه "المسند الصحيح الحسن"، وساق مع هذه النقول تعليقات التجيبي عليها" [xlviii]. وهناك كثير ممن نقلوا عن هذا الكتاب، وكانت لهم تعقيبات وتعليقات عليه منهم ابن عذارى، وابن الخطيب والسيوطي، وعبد الرحمن الفاسي وغيرهم كثير.

- المؤلف/ مدون الملاحظات: يمكننا اعتبار المحققين الذين قاموا بتحقيق هذا الكتاب ضمن هذا النوع من المؤلفين؛ لأنهم يقومون بجمع نسخه المتعددة والمقارنة بينها، وتدوين أوجه الاتفاق والاختلاف بين بعضها البعض، ومن ثم تدوين تلك الملاحظات في النسخة المحققة، ولذلك فإننا يمكننا – بالقياس مع النص المترابط الرقمي– أن نعدهم من المؤلفين التشاركيين، بسبب ملاحظاتهم وتعقيباتهم المتعددة على طول الكتاب.

وعندما ننظر إلى مقدمة تحقيق الكتاب نجد أن المحققين وهم: د. إحسان عباس، د. محمد بن شريفية، ود. بشار عواد، ذكروا جميع النسخ التي اعتمدوا عليها في تحقيق هذا الكتاب، ووضحوا الفروق بينها، كما تحدثوا كذلك عن الفروقات المتنوعة بين مجلداته المختلفة، كمجلد خزانة القرويين بفاس، ومجلد الخزانة الحسينية بالرباط، ومجلد الإسكوريـــــال، وغيرها من المجلدات المتنوعة، "ومن ثم فإن المجلدات التي وصلت إلينا من هذا الكتاب كانت تنتمي إلى نسخ مختلفة في عدد مجلداتها، فالمجلد الخامس بمكتبة حليم – مثلاً – يقابل المجلد الرابع المحفوظ في دار التحف البريطانية، والمجلد الرابع من نسخة الفقيه عباس بن إبراهيم" [xlix]. كما عقب المحققون كذلك على باقي مجلدات الكتاب التي استخدمت في التحقيق.

وبعد عرضنا لكتب الصلات نجد أن فكرة الاستدراك أو التعقيب أو الشرح أو الزيادة أو التعليق ... إلخ، التي اتسمت بها هذه الكتابات هي التي جعلتنا نلتمس فيها فكرة الربط والترابط التي يتسم بها النص الرقمي، والتي تحدث عنها معظم نقاد الرقمية، ولعل أبرزهم د. لبيبة خمار التي ترى أن فكرة الترابط قد تتحقق في التفسير والشرح، والحواشي، والتعقيب، أو الملاحظات المتعددة، "وهذا النوع من الكتابات المترابطة، والتشاركية كانت تتم على حامل ورقي لتحقق غايات متعددة تتلاقى عند الرغبة في توسع النص وتحقيق انتشاره باعتماد آليات التفسير، والتعقيب والمعارضة

والتعليق، فيحتفظ الترابط ببعديه: العلائقي الذي يتبدى من خلال تعلق اللاحق بالسابق، والبعد الحركي الذي يتم بالانتقال من نص مركزي يوجد في الوسط، ونصوص هامشية توجد على جانبي المتن أو أسفله" (i).

وبعد فإن كتب الصلات – من خلال العرض السابق– قد حملت سمة الترابط، أو قل إن صح التعبير سمة النص المترابط من خلال تنوع وامتداد مؤلفاتها، وتداخلها فيما بينها، كما حملت سمة التعالق والتشعب كذلك من خلال اعتمادها على أكثر من مؤلف.

وإذا كان النص الرقمي المترابط يتسم ببعض الخصائص التي من أبرزها– كما ذكرنا– الرقمية، والتفاعل، والتشعب، واللانصية، والافتراضية، وكذلك الجماعية، فإن كتب الصلات قد اتسمت ببعض السمات، حيث اتسمت بالتفاعل كما وضحنا، وإن كان تفاعل المتلقي مع النص الرقمي يختلف عن تفاعله مع النص الورقي، إلا أن هذه الكتب عرفت تفاعلاً قويًا من قبل المؤلفين اللاحقين للنص الأصلي، وقام كل مؤلف بالتدخل والتعديل والإضافة، "فالتفاعلية لا تقتصر على الأدب في طوره الإلكتروني، إنما هي صفة ملازمة له عبر تاريخه الطويل؛ لأنه لا يكتسب وجوده إلا بتفاعل المتلقين معه، هؤلاء تختلف طرقهم التفاعلية تبعًا لظروفهم وعاداتهم ونفسياتهم، هذا يعني أن اقتران الأدب بالتكنولوجيا لم يكسبه صفة التفاعلية. وإنما اكتسب هذه الأخيرة حالة جديدة مع الأدب المقدم من خلال شبكة الإنترنت" (ii). حيث جعلت التكنولوجيا المتلقي أكثر تفاعلاً عن ذي قبل من خلال احتكاكه المادي والملموس بشاشة الحاسوب.

واتسمت كتب الصلات كذلك بسمة التشعب، وهي روابط وعناصر متشعبة تنبثق عن روابط أخرى رئيسة، وقد لاحظنا كيف أن هذه الكتب قد حدثت بينها تداخلات وامتدادات عديدة عبر استدراكات المؤلفين، وتدخلهم في النص الأصلي بالتعديل أو

الإضافة، كما لم يتوقف أصحابها على النصوص السابقة المباشرة فقط، بل تعدوا ذلك إلى نصوص أخرى وسيطة، ومن ثم عرفت هذه الكتب سمة التشعب، ولو بقدر أقل درجة منها في النصوص الرقمية.

ومن السمات القوية التي أفصحت عنها كتب الصلات كذلك سمة الجماعية أو التشاركية، وهي من أبرز سمات النص المترابط الذي يعتمد في جماعيته على المؤلف، وكذلك المتلقي، ويقوم كل منهم بدوره في تقديم النص، وتشكيله النهائي، وهذه الكتب – الصلات– عرفت الجماعية والتشاركية في كل حالاتها ومؤلفاتها، ولم تقتصر على مؤلف واحد فقط.

وعلى ما سبق، يمكننا التأكيد على أن النصوص العربية القديمة – لا سيما النصوص الأدبية – قد عرفت فكرة الترابط، وكذلك التعالق المرتبطة بتشعب النصوص، واستطاع الأدباء والنقاد بعد ذلك استغلال هاتين الفكرتين، وتوظيفهما في النص الرقمي لينتج عنهما النص الرقمي التفاعلي، أو ما يعرف بالنص المترابط، وقد اتسم القرآن الكريم بهذه السمات كذلك من خلال ترابط وتشعب آياته وسوره، فدلالة آية معينة نجد لها مدلولاً في آية أخرى، وإجابة سؤال ما في آية نجدها في آية مغايرة. وهذا يدل على أن النصوص العربية، وعلى رأسها القرآن الكريم – لم تكن نصوصاً منغلقة على نفسها، بل عرفت الانفتاح والتعالق والتشعب.

نتائج البحث:

بعد دراسة موضوع (ثنائية الترابط والتعالق في الأدب الرقمي، بحث عن الجذور والاتجاهات الرائدة، كتب الصِلات الأندلسية نموذجًا) توصل البحث إلى مجموعة من النتائج ، من أبرزها :

1. أن النصوص العربية الورقية منذ القدم عرفت الترابط وكذلك التشعب، وانتقلت هاتان السمتان بعد ذلك إلى النصوص الرقمية عبر تحولات وتطورات نقدية

متتابعة، وقد ظهر ذلك في معظم النصوص الأدبية القديمة لعل من أبرزها كتب الصلات الأندلسية.

2. أن ظهور الأدب الرقمي لم يكن وليد الصدفة، بل هو نتاج مجموعة من المحاولات التي حاولت التحرر والانطلاق من قيود أفكار الحداثة.
3. أشار النقاد العرب إلى فكرة تعالق وترابط النصوص منذ زمن بعيد، وكانوا يرون أن النص لا يمكن أن يخلق من العدم، وهي نفس الفكرة التي اعتمد عليها أصحاب نظريات موت المؤلف، والتناص، وهذه الأفكار كانت نقطة الانطلاق إلى تمثل النص المترابط لذي يعتمد عليه الأدب الرقمي.
4. رغم ظهور أنواع متعددة من الأدب الرقمي إلا أن الأدب التفاعلي فقط هو الذي يعبر عن فكرة ترابط النصوص وتعالقها من خلال اعتماده على النص المترابط أو المتشعب.
5. إذا كان المتلقي في الأدب الورقي يقف مكتوف الأيدى تجاه النص فإن الأدب الرقمي – عبر تفاعليته – قد منحه دوراً جديداً في مشاركة المبدع في تكوين المنتج النهائي للنص.
6. مثلت فكرة كون المتلقي مع الأدب الرقمي قد أصبح منتجاً موازياً لمؤلف النص إشكالية كبيرة في تحديد هوية النص الأجناسية، حيث يتوقف ذلك على رؤية المتلقي الشخصية، وكذلك ميوله ورغباته.

هوامش البحث:

1. السيد نجم: النشر الإلكتروني والإبداع الرقمي، رؤية حول الأدب الجديد، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، 2010م، ص 40.
2. د. حسام الخطيب: الأدب والتكنولوجيا وجسر النص المفرع، وزارة الثقافة والفنون والتراث، الدوحة، ط2، 2011م، ص 127.
3. د. سعيد يقطين: النص المترابط، ومستقبل الثقافة العربية، نحو كتابة عربية رقمية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2008م ص 135، 136.
4. د. سعيد يقطين: النص المترابط، ص 30.
5. د. زهور كرام: الأدب الرقمي، أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2009م ، ص 57.
6. د. حسام الخطيب: الأدب والتكنولوجيا وجسر النص المفرع، ص 122.
7. د. محمد مريني: النص الرقمي وإبداعات النقل المعرفي، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، الإمارات، 2015م ، ص52.
8. د. نبيل علي: العرب وعصر المعلومات، سلسلة كتب ثقافية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد (184)، 1994م، 129.
9. عايدة نصر الله، إيمان يونس: التفاعل الفني الأدبي في الشعر الرقمي، قصيدة شعر البوغاز نموذجًا، دار الأركان للإنتاج والنشر، الينبوع، مركز أبحاث اللغة والمجتمع والثقافة العربية، المعهد الأكاديمي العربي للتربية، بيت بيرل، فلسطين، (ب.ت)، ص 42.
10. د. إلهام بوطوب، د. سعيد الوكيل: الأدب التفاعلي وجماليات التلقي، مجلة اللغة الوظيفية، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، الجزائر، عدد8، 2018م، ص1.
11. جوليا كرستيفا: علم النص، ترجمة: فريد الزاهي، دار توبقال للطباعة والنشر، المغرب، ط2، 1997م، ص 21.
12. عايدة نصر الله، إيمان يونس: التفاعل الفني الأدبي في الشعر الرقمي، ص22
13. المرجع السابق، ص 25.
14. نفسه، ص 27.

15. انظر: إيمان يونس: أدوات الكتابة وماهية الإبداع من النقش على الحجر إلى الكتابة بالوسائط المتعددة، مجلة الحصاد، العدد الأول، 2011م، المعهد الأكاديمي لإعداد المعلمين، بيت بيرل، فلسطين، ص 48.
16. النص التشعبي: منظورات أدبية وفلسفية وتربوية، ترجمة محمد أسليم عن النص الفرنسي متاح على الإنترنت عبر الرابط:
17. http://www.aslim.ma/site/articles.php?action=view&id=227 retrieved on:
18. صوفي ماركوط: جورج لاندو ونظرية النص التشعبي، ترجمة: محمد أسليم، متاح على الموقع الإلكتروني عبر الرابط:
19. http://www.aslim.ma/site/articles.php?action=view&id=62 retrieved on.
20. انظر: د. سعيد يقطين: النص المترابط، ص 186، 189.
21. أبو هلال العسكري: الصناعتين، تحقيق: علي البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1419هـ، ص 217.
22. د. محمد مريني، النص الرقمي، ص 27.
23. (د. لبيبة خمار: النص المترابط، ص 36.
24. المرجع السابق، ص 38، 39.
25. انظر في ذلك:
26. السيوطي: مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، تحقيق: د. عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط1، 1426هـ.
27. إبراهيم بن الزبير الغرناطي: البرهان في ترتيب سور القرآن، تحقيق: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، المغرب، 1990م.
28. البقاعي، برهان الدين بن عمر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق: عبد الرازق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت.
29. الزركشي، الإمام بدر الدين حمد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت.

30. البقاعي، برهان الدين بن عمر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ص 1415.
31. انظر: د. فاضل صالح السامرائي: التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، ط1، 2016م، مقدمة الكتاب.
32. الزركشي، الإمام بدر الدين حمد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن، ج1، ص 36.
33. انظر: كتاب ألف ليلة وليلة، مطبعة سعيد علي الخصوص وأولاده، القاهرة. أربعة مجلدات.
34. د. عبد اللطيف حمودي الطائي: إشكالية الرواية والرواة، دراسة في رواية الشعر العربي قبل الإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 11.
35. د. سعيد يقطين: النص المترابط، ص 145.
36. د. سعيد يقطين: النص المترابط، ص 145، 146.
37. انظر: عايدة نصر الله، إيمان يونس، ص 14- 18.
38. من الكتب التي فقدت ولم تصل إلينا: كتاب تعليق على كتاب ابن الفرضي واستلحاق:لابن مهلب، وكتاب المنهج الرضي في الجمع بين كتابي ابن بشكوال وابن الفرضي: لابن قاسم الإشبيلي، وكتاب مجموع في رجال الأندلس: لابن حبيش، وكتاب زيادة على كتاب الصلة: لأبي القاسم القنطري، وغيرها من كتب الصلات التي سوف نذكرها جميعًا في الرسم البياني الذي يجمع كتب الصلات في هذا البحث.
39. د. لبيبة خمار: النص المترابط، ص 41.
40. عبد الواحد عبد السلام شعيب: كتب الصلات الأندلسية نهج فريد في التراجم الإخبارية، أعمال المؤتمر الدولي الأول: النخب والسلطة السياسية في العالم العربي الإسلامي من خلال كتب الطبقات، كلية الآداب والفنون، بمنوبة، تونس، 2012م.
41. ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، حققه وضبط نصه وعلق عليه: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 2008م، ص 31.
42. ابن بشكوال: الصلة، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1989م، ص 23.

43. المراكشي: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، حققه وعلق عليه: د. إحسان عباس، د. محمد بن شريفية، د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 2012م، ص 128.
44. ابن الزبير، أحمد بن إبراهيم الغرناطي: كتاب صلة الصلة، وهو المجلد الثالث من كتاب الصلة لابن بشكوال، ومعه كتاب صلة الصلة لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم الغرناطي، تحقيق: شريف أبو العلا العدوي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2008م، ج3، رقم 35، ص 22، 23.
45. ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: د. عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1995م، ص 6.
46. شمس الدين الذهبي: المستملح من كتاب التكملة، حققه وضبطه وعلق عليه الدكتور/ بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 2008م، ص 441.
47. فاطمة البريكي: مدخل إلى الأدب التفاعلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006م، ص 27.
48. د. لبيبة خمار: شعرية النص التفاعلي، آليات السرد وسحر القراءة، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2014م، ص 52.
49. د. إبراهيم أحمد ملحم: الأدب والتقنية، مدخل إلى النقد التفاعلي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2013م، ص 61.
50. د. سعيد يقطين: النص المترابط، ص 59.
51. انظر: د/ لبيبة خمار: النص المترابط، ص 36، 37.
52. المراكشي: الذيل والتكملة، ص 217.
53. نفس المرجع، ص 76، مقدمة التحقيق.
54. المراكشي: الذيل والتكملة ، ص 124.
55. نفسه، ص 182.
56. د. لبيبة خمار: النص المترابط، ص 36.
57. فاطمة ميحي: البنية الدلالية للشعر التفاعلي، تباريح رقمية لسيرة بعضها أزرق، نموذجاً، ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2013م، ص 25.